تربية الطفل في الإسلام

د. آمنة حسين عبد المولى بركات
كلية التربية – جامعة الزاوية

مقدمة

إنَّ العالم الإسلامي هو مهد الحضارات الممتدة في شرق العالم وغربه، وقد نمت فيه المؤسسات الثقافية والعلمية في أرجاء البلاد العربية الإسلامية، وللإسلام أهدافه من تربية المسلم وتعليمه ويبدو ذلك جلياً من نصوص الكتاب الكريم، فأول ما نزل من القرآن الكريم قوله– سبحانه وتعالى–:﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[1]. ووضَّح– سبحانه وتعالى: أداة العلم بقوله: ﴿ **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾[2].

فالمعلم والمتعلم هما محور العملية التعليمية التربوية، ومن هنا كان الاهتمام بهما حتى تنجح هذه العملية وتصل إلى تحقيق الأهداف التربوية المنشودة، وبناء جيل مسلح بالعلم والقيم والأخلاق الفاضلة التي تؤهله للحياة الكريمة، وليس هناك من دين سماوي حثَّ على العلم وقدَّسه وأمر بتحصيله وتحكيمه في كل خطوة من خطوات الحياة، وفي كل ميادينها كما فعل الإسلام فاهتمَّ بالتعليم واعتبره وسيلة من وسائل التربية في تحقيق أهدافه، وحقَّ لكل مسلم أن يتربى ويتعلم قدر استطاعته وفي حدود إمكانياته، فالأمم ترقى بالعلم وتسمو بالمعرفة، وتتهذب بالتربية؛ لأنها وسيلة الأخلاق القويمة، ومهمة التربية الإسلامية تزويد أبنائها بالمعارف المتباينة والمهارات المختلفة المناسبة لقدراتهم، والمساعدة لهم على تحقيق التكييف في الحياة بحيث يكون العقل والتفكير والتدبر هو الأساس في اتخاذ القرارات وحل المشكلات ويعتمد على أدلة وبراهين في ذلك، كما جاء في قوله – سبحانه وتعالى:﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[3].

إنَّ التربية الإسلامية تجعل المسلم المتعلم قوة مثمرة نافعة في المجتمع، وتجعل من المجتمع قوة متقدمة دائما، كما أن العلم يعد وسيلةَ تحرير المسلم من التقاليد والأفكار السيئة.

وعن طريق التربية توجه الجماعة سلوك أفرادها وأخلاقهم وفق الأهداف التي يسعى المجتمع إليها، فالطفل خاضع باستمرار لعملية تغيير في تكوينه الجسمي والعقلي والخلقي،

والطرق التربوية والأساليب والحقائق العلمية تساعد على تربية الطفل وتحقيق نموه في كل المجالات السابقة للوصول إلى إنسان كامل يحقق أهداف التربية التي تهتم ببناء الفرد وتكوين جيل خُلُقَهُ القرآن.

مفهوم التربية الإسلامية:

قام بعض الباحثين من رجال الفكر الإسلامي باستعمال مصطلح التربية الإسلامية وعرَّفوه بتعريفات أهمها:

1- التربية الإسلامية هي: تنمية جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه؛ بغرض أهداف الإسلام في شتى مجالات الحياة[4].

2- التربية الإسلامية نظام تربوي قائم على الإسلام بمعناه الشامل كما يتَّضح في قوله – تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾[5].

فالتربية الإسلامية عبارة عن عملية بناء الإنسان وتوجيهه لإعداد شخصية وفق منهج الإسلام وأهدافه في الحياة.

التربية الإسلامية للطفل:

التربية أداة فعَّالة للتغيير والتطوير، ووسيلة مثمرة لحفظ التراث وبناء الحضارة، وهي حاجة أساسية لنمو الفرد وضرورة رئيسة لتطور المجتمع، من هذا المنطلق يؤكد علماء التربية على ضرورة الاهتمام الزائد بالطفل؛ لأنَّ الطفولة أرضٌ خصبةٌ للبناءِ والنماءِ. قال روسو: "أعطوني طفلين لأصنعَ من أحدهما ملاكاً، ومن الآخر شريراً"[6].

مرحلة الطفولة هي التي تكوِّن الصورة الشخصية للإنسان، وتشكيل ملامحه الخِلقية والخُلقية، وقد حرصت الشريعة الإسلامية على تربية الطفل واهتمَّتْ ببناء شخصيته بناءً سليماً مبتعدة عن أشكال الانحراف وأنواع العقد السلوكية ومعظم الأمراض النفسية الخطيرة والعادات السيئة.

فبناء شخصية الطفل في الإسلام ما هي إلا عملية بناء المجتمع الإسلامي، فنجاح الأهداف الإسلامية وسعادة الفرد وسلامة المجتمع تتوقف على سلامة عملية التربية؛

وبالتالي لابد من اهتمامنا بتربية الطفل وإعداده إعداداً سليماً؛ ليكون فرداً صالحاً في المجتمع الإسلامي.

تعمل التربية الإسلامية على تنمية العقل فهي التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام وتطبيقه كلياً في حياة الفرد والجماعة في كل المجالات، فهي التربية الَّتي تجمع بين الإيمان والخلق والعلم والعمل، وهي العملية التربوية الَّتي سار عليها المسلمون بعد نبيهم محمد–عليه الصلاة والسلام– في تنشئة أجيالهم، وإعدادهم حتى أصبحوا رجالَ الإسلامِ والإيمان والفكر والعلم والتهذيب والخُلُق.

فنحن بحاجة إلى تربية الطفل التربية الإسلامية؛ لأنَّ الطفولة من أهمِّ مراحل النمو النفسي للإنسان، فهي حجر الأساس؛ لتكوين شخصية الطفل فإذا تم بناؤها بصورة صحيحة وسليمة نتج عنها شخص مثالي[7].

كذلك تعد التربية الإسلامية من أرقى المناهج التربوية دون منازع نظراً لشموليتها من جانب وملامستها للقواعد القيمة والعقائدية والنفسية من جانب آخر[8].

فالإسلام بدأ عنايته بالطفل منذ لحظات ولادته الأولى فدعا إلى تلقينه الشهادتين، ويؤذَّن في أذنه للتكون الإيماني والاستقامة السلوكية، والتعامل الصحيح وتكوين شخصية ايجابية؛ لأنها تمثل الجانب الداخلي للإنسان المعروف بالجوهر، والشخصية: عبارة عن مجموعة من الخصائص النفسية والاجتماعية والانفعالية الثابتة ثباتاً نسبياً، حيث تميز الفرد عن غيره من الناس، وتحدد أساليب تفاعله مع البيئة الَّتي يعيش فيها، بهذا نجد الفروق القائمة بين الأفراد في الصفات المختلفة، وتتضح تكوين الشخصية، ويتم عن طريق بناء القيم الإسلامية في نفس الطفل، فالتربية السليمة توجه فطرة الطفل؛ لكي يحب ما ينبغي له أن يحبه، ويكره ما ينبغي له أن يكرهه. ولإنشاء مجتمع إسلامي لابد من الاهتمام بالطفل وتربيته التربية الإسلامية الصحيحة يكون في المستقبل شاباً قادراً على نفع دينه ووطنه، وهذا الشاب هو البذرة التي تنتج أسرة مسلمة ثم مجتمع مسلم في المستقبل.

ولا تتم تربية طفل نافع لدينه ووطنه وأمته من لحظة الولادة بل من قبل الولادة حتى بداية تعامله مع المجتمع ودخوله للمدرسة، وفترة ما بعد المدرسة، فعند دخول الطفل للمدرسة يتعلم

كيفية التعامل الصحيح مع المجتمع، وكيفية التعامل مع تخيلاته وأمنياته بشكل واقعي مفيد وكيفية التغلب على السلبيات ومسحها من عقل الطفل حتى لا يتأثر بها، ويتعود الطفل على انتقاء الإيجابيات من كل تصرف اجتماعي، ويعد الوقت المناسب لتعليم الأطفال إذا ميزوا وأدركوا ما يقال لهم، وهذا ليس له سن محددة بل يختلف باختلاف الأطفال وفروقهم الفردية، فعندما يكون عقل الطفل يقظ ومَلَكَات الحفظ لديه نقية، ورغبته في المحاكاة والتقليد قوية تتم عملية التعلم بسرعة.

مراحل التعليم في التربية الإسلامية:

قطع علم النفس شوطاً كبيراً في مجال التربية الحديثة وطرائقها، وله إسهاماته المتعددة في فهم المراحل العمرية لدى الأطفال بما يتناسب واحتياجاتهم النفسية ونموهم البدني، وكيف يمكن التوفيق في طرائق التعليم بين النضج العقلي، والبدني، والنفسي وبين ما يقدم لهم من مواد تعليمية، ومقررات تدريسية مناسبة، تلك الجهود قد بُنِيَ بعضها على تراكم الخبرات الإنسانية التطبيقية في هذا المجال من ناحية، والاستفادة من التراث الأخلاقي التربوي الإنساني من ناحية أخرى. ففي أغلب الدول المتحضرة قُسِّمَتْ مراحل التعليم إلى أربع مراحل:

1- التعليم الابتدائي.
2- التعليم الثانوي.
3- التعليم الجامعي.
4- البحث والدراسات العليا.

وللجهد التربوي الإسلامي الأهمية الكبرى في تقسيم المراحل العمرية إلى ثلاث مراحل، فالمسلمون عرفوا في الواقع ما يشبه هذه المراحل التعليمية الثلاث؛ فقد وجد التعليم الابتدائي في الكُتَّاب، حيث كان التلاميذ يتلقون مبادئ عامة يسيرة، وأما التعليم الذي يشبه التعليم الجامعي فقد وجد في دكاكين الوراقين، ومنازل العلماء والصالونات الأدبية، أما المسجد فقد وُجِدَتْ فيه المرحلتان الثانية والثالثة، وكانت تُعْقَد فيها حلقات يختلف مستواها باختلاف مستويات التلاميذ، أما المرحلة الرابعة فمرحلة الأبحاث والدراسات العليا وقد عرفها المسلمون ببيت الحكمة، حيث كانت مدرسة للبحث التجريبي المستند إلى الملاحظة والتجربة، وإنها

كانت مزيجاً بين الجامعة ودار كتب ومكتب ترجمة. فالمسلمون عرفوا مراحل التعليم الأربعة ولكن لم تكن هناك فواصل واضحة بينها.

مجالات التربية الإسلامية للطفل:

تتم تربية الطفل في الإسلام بتربيته على العقيدة السليمة والإيمان الراسخ، والعبادة الخالصة، والأخلاق الفاضلة. ففي الإسلام مجالات لتربية الطفل وهي:

1- التربية الإيمانية.
2- التربية الخُلُقية.
3- التربية الجسمية.
4- التربية العقلية.
5- التربية النفسية.
6- التربية الاجتماعية.

مجالات التربية هذه تتم في الأسرة ثم المدرسة، والمعلم والأبوان في البيت مسؤولون جميعهم عن تربية الطفل في جميع المجالات، ليكتسب خصائص تؤهله ليكون إنساناً صالحاً للمجتمع.

1-التربية الإيمانية:

التربية الإيمانية هي ربط الطفل منذ تعقله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تميزه مبادئ الشريعة[9].

والتربية الإيمانية نوعان:

أ- التربية العقائدية.
ب- التربية العبادية.

فعلى المربين أن يعلموا الطفل العقيدة الإسلامية السليمة، ويغرسوا فيه الأصول الصحيحة للعقيدة بالتدرج حتى تترسخ في ذهنه، ولسانه وقلبه، وذلك كما روى الحاكم عن ابن عباس عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال :(افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله)[10].

أما التربية العبادية فهي كل العبادات البدنية والمالية كالصلاة، والصوم والزكاة، والحج لمن استطاع إليه سبيلا.

فالطفولة ليست مرحلة تكليف، وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ[11].

2- التربية الخُلُقية:

يقصد بها مجموعة المبادئ الخُلُقية والفضائل السلوكية، والوجدانية التي يجب أن يتلقاها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها[12].

فالأخلاق تعد منظومة من السلوكيات والمبادئ التي تنظم حياة الأفراد في المجتمع، فالتربية عندما تكون بعيدة عن العقيدة الإسلامية يترعرع الطفل على الانحراف وينشأ على الضلال.

فلابد من السير على خطى سيدنا النبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- للوصول إلى مكارم الأخلاق فقال- تعالى:﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[13].

فينبغي تعريف الطفل الفضائل والرذائل بما يناسب عمره العقلي، وترغيبه الفضائل وتجنبه الرذائل، وتدريب الأطفال على ممارسة سلوكيات تتناسب مع الأخلاق الفاضلة، وتعزيز شعور الانتماء للأمة الإسلامية، وبث روح الفخر والاعتزاز بالدين الإسلامي، وتعريف الطفل الآداب الخلقية في الحياة اليومية كآداب الطعام والشراب، وقضاء الحاجة، وآداب ركوب السيارة، وتعظيم الطفل للوالدين وحثهم على برهم، واحترام الآخرين.

3- التربية الجسمية:

هي عملية تهدف إلى التمكن في القوى العضوية في جسم الإنسان والتي تتحكم بآليات الحواس الخمسة المتمثلة في السمع والبصر واللمس والشم والتذوق، ثم إنَّ هذه القوى والإمكانيات هي الَّتي تؤهل الطفل للقيام بالحركات البسيطة مثل الإمساك بالأشياء، والقفز، والتسلق، والجري بإتقان ومهارة.

فالتربية الجسمية عملية إعداد الطفل بطريقة سوية من خلال توفير سبل العناية الصحية الكاملة لحياة الطفل، والمحافظة على مختلف الطاقات الجسمية وتعزيزها وتطويرها، فاهتمام الأبوين برعاية طفلهم من الناحية الجسمية، وإعداده لمستقبل الحياة قوياً يعد خير معين

لقيام الطفل بواجباته الدينية وعبادة ربه، فالأب والأم ملزمان لتفقد ابنهما في كلامه، وجلوسه بين الناس، وحركته، ونومه، وقيامه ومطعمه ومشربه، فهما ملزمان فيما يخص جسم الطفل بالتزام منهج الإسلام في التربية الجسمية، والإسلام دين القوة ويحث دائماً على تعليم أطفالنا فنون القتال، وركوب الخيل، والسباحة لكي نعود أطفالنا على القوة، فعن أبي هريرة– رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ– صلَّى الله عليه وسلَّم: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ)[14]، والتربية الجسمية من أهم وسائل العناية الصحية للبدن والعقل والنفس، وأفضل مرحلة لبناء الجسد مرحلة الطفولة، وكثير من الواجبات الشرعية تحتاج إلى جسم قوي كالصوم، والحج، والجهاد إلى غير ذلك.

فعلى الآباء ملاحظة أطفالهم في إتباع القواعد الصحية في حياتهم اليومية وتعويدهم على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية، وتعويد الطفل على حياة الجد، والرجولة، والابتعاد عن التراخي والانحلال.

4– التربية العقلية:

التربية العقلية عملية إعداد دقيقة للفرد منذ مراحل عمره الأولى كي يكون سليم التفكير قادراً على اكتساب مختلف الأفكار والمعارف، قادراً على تعلم المدلولات وفهم المعاني، كذلك لابد أن يكون الطفل قادراً على الملاحظة والتمييز والاكتشاف والتذكر والتصور والتخيل والتوقع والربط بين الأشياء والمواقف، ثم تتدرج بالطفل شيئاً فشيئاً كي تصل به إلى قوة التأمل ودقة التفكير والتبصر والقدرة على حل المشكلات، والاستقصاء، والاستنباط وتوليد الأفكار وحسن التقدير والقدرة على الحكم على الأشياء، ثم الوصول إلى مرحلة التحليل، والنقد والإبداع، إن كل هذه العمليات العقلية الضرورية للشخصية الإنسانية تكون في المراحل المختلفة لنمو الإنسان وتحتاج إلى بيئة صحية، وإيجابية تتمثل في الأسرة والشارع والمدرسة، وبالتالي فهي المناخ المناسب للطفل للارتقاء بتفكير الأطفال إلى المستوى الذي يؤهلهم لبناء وخدمة مجتمعهم، لقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً بالغاً حيث دعاهم إلى تفتح آفاق الفكر والتأمل والتفكر في الكون للوقوف على أسراره قال الله– سبحانه وتعالى:﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[15]. والإسلام يدفع الإنسان إلى تعلم كل علم نافع للمجتمع والإنسان.

5- التربية النفسية:

هي الاتزان الشخصي والنفسي وضبط الانفعالات، ورد كل الرغبات النفسية والعاطفية والوجدانية إلى شرع الله، مثل: الصراحة، والجرأة، وحب الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق.

فالطفل منذ ولادته يأمر الإسلام والديه بتربيته وغرس أصول الصحة النفسية التي تؤهله أن يكون إنساناً ذي عقل ناضج وتفكير سليم وتصرف متزن، فعلى الآباء تحرير أطفالهم من ظاهرة الخجل والخوف، والشعور بالنقص والحسد والغضب فالتغلب على كل الظواهر السابقة لابد من تربية الطفل منذ طفولته المبكرة على الثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية وإشعاره بالمحبة والاقتداء برسولنا الكريم- صلَّى الله عليه وسلَّم- ، وتعميق عقيدة القضاء والقدر في نفوس أطفالنا.

6- التربية الاجتماعية:

تسهم التربية الاجتماعية الإسلامية بتأديب الأطفال من الصغر في الالتزام بالعادات الاجتماعية الإسلامية الفاضلة، وهذا يتم في السنوات الأولى من أعمارهم لتحولهم من مجرد كائنات حية إلى كائنات بشرية اجتماعية.

فالتربية الاجتماعية هي تأديب الولد منذ نعومة أظافره على التزام آداب اجتماعية فاضلة، وأصول نفسية نبيلة تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة، والشعور الإيماني العميق؛ ليظهر الطفل في المجتمع بحسن التعامل والأدب، والاتزان والعقل الناضج، والتصرف الحكيم(16).

الخاتمة:

الطفل بفطرته مؤمن بالله تعالى حيث تبدأ تساؤلاته عن نشوء الكون ونشوء أبويه ونشوء من يحيط به، وتفكيره المحدود مهيأ لقبول فكرة الخالق -سبحانه وتعالى- فعلى الوالدين استثمار تساؤلاته لتعريفه بالله تعالى الخالق في الحدود التي يتقبلها تفكيره المحدود.

والتربية والتعليم في هذه المرحلة يفضل أن تكون بالتدريج متناسبة مع العمر العقلي للطفل، ودرجات نضوجه اللغوي والعقلي. وقد أثبت علم النفس الحديث أن الطفل في سن (2-3) سنوات يكتسب كلامه طابعاً مترابطاً مما يتيح له إمكانية التعبير عن فهمه لكثير من

الأشياء والعلاقات، وفي نهاية السنة الثالثة يصبح الطفل قادراً على استخدام الكلام وفق قواعد نحوية ملحوظة وهذا يمكِّنه من صنع جمل أولية صحيحة، ففي هذه المرحلة يكون مقلداً لوالديه في كل شيء بما فيها الإيمان بالله تعالى.

والطفل بحاجة إلى المحبة والتقدير من قبل الوالدين، وبحاجة إلى الاعتراف به وبمكانته في الأسرة والمجتمع، والحب والتقدير الذي يحس به الطفل له تأثير كبير على جميع جوانب حياته، فيكتمل نموه اللغوي والعقلي والعاطفي والاجتماعي، فالطفل يقلد من يحبه، ويتقبل التعليمات والأوامر والنصائح ممن يحبه، فيتعلم قواعد السلوك الصالحة من أبويه وتنعكس قواعد سلوكه إذا كان يشعر بالمحبة والتقدير من قبلهما، وعلى الأمهات والمسؤولين والمربين أن يتصفوا بصفات المربي الناجح.

التوصيات:

1- أن يتحلى الآباء والأمهات والمربون بصفات مثل الأمانة، والحزم والقوة، والعدل والصلاح والصدق، والحكمة، وغيرها.

2- الاهتمام بالطفل وغرس العقيدة الصحيحة والأفكار والقيم المثلى في نفوسهم.

3- تمكين العقيدة الإسلامية في نفس الطفل وجعلها ضابطة لسلوكه وتصرفاته.

4- تربية الطفل على حياة اجتماعية إسلامية وتدريبية على خدمة مجتمعه ووطنه.

5- تزويد الطفل بالخبرات والمعارف الملائمة لسنه؛ حتى يلم بالمبادئ الأساسية للثقافة والعلوم.

6- تنمية قدرات الطفل المهارية والعقلية وتعهدها بالتوجيه والتهذيب.

الهوامش:

1 - سورة العلق : الآية: 1.

2 سورة العلق : الآية: 4.

3 سورة الإسراء : الآية: 36.

4 محمد أيوب الشحيمي، مشاكل الطفل، (دار الفكر اللبناني، بيروت 1994م)، ص:9.

5 آل عمران: 19. وانظر: صبحي طه التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، (دار الأرقم للكتب، عمان: 1983م)، ص8:.

6 زغلول راغب النجار، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، (الدار العالمية للكتاب، الرياض: 1995م)، ص:85.

7 أسماء أحمد البحيصي، الطفولة مشاكل وحلول، المكتبة الإلكترونية أطفال الخليج،ص1، عنوان الموقع www. Gulfkids.com

8 عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (دار السلام، بيروت: 1981م)، ص:147.

9 سيما راتب عدنان، تربية الطفل في الإسلام، (دار السلام، بيروت: 1997م)، ص:50.

10 سنن البيهقي، كتاب شعب الإيمان باب حقوق الأولاد رقم الحديث: 8282.

11 عبد الله ناصح علوان، مرجع سبق ذكره، ص146:.

12 شريف عبد العزيز الزهيري، بناء المستقبل للأمة، (دار الصفوة، الرياض: 2005م)، ص:60.

13 سورة القلم : الآية: 4.

14 رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستقامة بالله، وتفويض المقادير لله، حديث رقم: (2664).

15 سورة يونس : الآية: 101.

16 شريف عبد العزيز الزهيري، بناء المستقبل للأمة، مرجع سبق ذكره، ص:60.